الفلاحين الى مصاف البروليتاريا » ص ١٤٢ ٠

ويعطي هاني اهتماما بارزا لدور السيطرة الكولونيالية الخاص والمتميز في التمهيد لنمط التطور الكولونيالي المشوه وترسخه ٠ وكذلك لدور الدولة « كجهاز كولونيالي » حيث اعطيت هي والجيش « مكانة اقتصادية متنامية جعلت منها قطاعا موظفا للقوى العاملة (٠٠٠) واصبحت موارد الدولة هي العامل الحاسم في تنمية التركيب الاقتصادي الاجتماعي » ص ١١١ ٠

لقد توسع المؤلف في عرض وتحليل اسباب التطور المشوه والتبعي وابراز اشكاله ومظاهره الاجتماعية والاقتصادية، الا انه عاد ليكرر ، على ضوء الاستنتاجات الجديدة لهذه الفترة ، ما سبق ان قاله في الفترة التي سبقت نشوء الدولة ، عن المجتمع الاردني ، بالرغم من جميع التغييرات والتحولات التي تمت خلال العقود الثلاثة وعن الدور الخاص للنمط الكولونيالي ، فكتب يقول « اخذ المجتمع الاردني خلال فترة ٢١ ـ ٥٠ يتكون (٠٠٠) لكن المجتمع الاردني مع ذلك لم يتبلور في وحدة مجتمعية واحدة ولم يستقر على علاقات محددة بسبب عدم سيادة نمط انتاجي رئيسي » ص ١٨١ ٠

فاذا كان التدخل والتعقيد في التركيب الاقتصادي الاجتماعي والانماط الاقتصادية وعلاقاتها قبل نشوء الدولة يعكس صورة مشوشة وغير واضحة المعالم للعلاقة بين الفئات والطبقات الاجتماعية ، ويسمح بسبب ذلك للاجتهاد واختلاف وجهات النظر حول هذه القضية ، فان التطورات اللاحقة قد حسمتها ٠ ولا يعني الاصرار على صحتها الا موقفا مسبقا لم يخبرنا المؤلف بأسبابه ومبرراته ! ٠

ويقع المؤلف في خطأ بارز وكبير عند تناوله لمسألة الفئة البيروقراطية ودورها في الدولة والمجتمع وتطور البلاد ، حيث يضع امامها امكانية اكتساب طابع وطني ديمقراطي ، او نحو اتجاه وطني ديمقراطي وحول ذلك كتب يقول « ان الدور السياسي الذي لعبته النخبة المثقفة من ابناء الاسر والعشائر النافذة في هذه الحقبة كان محدودا ، حيث اضطلع بالدور الرئيسي السياسي الموظفون والمحترفون السياسيون (٠٠٠) ان صغر حجم البلد ، وعدم الحاجة الى كادرات كبيرة العدد ، لم يسمح ايضا باكساب البيروقراطية طابعا وطنيا ديمقراطيا او لنمو اتجاه وطني ديمقراطي فيها » ص ١٨٠ ٠ والسؤال هو ما علاقة الـ « كادرات كبيرة العدد » و « صغر حجم البلد » باضفاء صفة سياسية على فئة او طبقة اجتماعية ؟ ان المنظرين والاقتصاديين البرجوازيين هم وحدهم الذين يبحثون عن دور سياسي اساسي للجغرافية ٠ هذا اولا ٠ اما ثانيا، فان « النخبة » التي يتحدث عنها من ابناء الاسر والعشائر ، هي جزء من السلطة ، اي جهاز الدولة الاداة الطيعة بيد الكولونيالية ، التي عرض لنا حوراني نفسه دورها الخاص والمتميز و «الفريد» في خدمة المصالح والاستراتيجية الامبريالية البريطانية في المنطقة ، ومن ثم دور الدولة كأداة امبريالية في تشويه وتبعية التطور الاقتصادي للبلاد ٠

ان « الفئة البيروقراطية » العسكرية والمدنية ، وعلى حد سواء ، في الاردن وفي اي بلد « متعدد الانماط الاقتصادية » هي فئة طفيلية متعيشة ، لا علاقة لها بالانتاج، والطبقات المنتجة ، الا علاقة الطفيلي المستهلك ، وبالتالي ليس لها علاقة بالقطاعات الاقتصادية الانتاجية ، التي يمكن ان تدفع بشرائح منها ـ كما في البرجوازية الوطنية ـ الى اتخاذ مواقف وطنية وديمقراطية ، سواء ضد الاستعمار او ضد الرأسمال واحيانا ضد التجارة الخارجية ، حفاظا على مصالحها الاقتصادية هي بالذات ، والتي قد تكون